Wave and Knowledge in Alivin Toffler's Thinking

Dr. Hala Ali*
Mary Maya**

(Received 8 / 11 / 2022. Accepted 2 / 1 / 2023)

□ ABSTRACT □

The American thinker Alvin Toffler discusses civil waves that divided the history of human development into three waves; the agricultural wave, the industrial wave, and the knowledge wave. Toffler believes that the emergence of each of these waves was associated with new patterns of knowledge. Therefore, the knowledge that generated agriculture is different from the knowledge that generated industry. It is also primative compared to it. The same applies to the knowledge that generated the third wave which considers the industrial wave primitive. Toffler emphasises the effect of the three waves on all aspects of life, which in turn will affect each individual in the society. Families are deconstructed, economy is destructed, political systems are paralyzed and values are ignored. Toffler also confirmed the disturbance accompanying each of these waves; where the presence of the third wave caused a social rage that whole humanity undergoes as the values of the new civilization contradict the old industrial civilization. It also presents advanced technologies oppose the industrial movement. In addition to that, each wave holds conflicts that differ from those of the previous and the following ones. As a result, Toffler talks about not going back to old conflicts since each development imposes both advanced knowledge and conflicts.

Key words: Wave, knowledge, Supersessionism, Philosophy of History, Historical development, Dialectics, Historicism

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Associate Professor. Department of philosophy. Faculty of arts humanities. Tishreen University. Lattakia. Syria**
****Postgraduate student. Department of philosophy. Faculty of arts humanities. Tishreen University. Lattakia. Syria. marymaya@tishreen.edu.sy**

الموجة والمعرفة في فكر ألفين توفلر

د. هلا علي*

ماري ميا**

(تاريخ الإيداع 8 / 11 / 2022. قبل للنشر في 2 / 1 / 2023)

ملخّص

يتحدث المفكر الأمريكي ألفين توفلر عن موجات حضارية، قسم من خلالها تاريخ تطور البشرية إلى ثلاث موجات هي الموجة الزراعية والموجة الصناعية والموجة المعرفية، يرى توفلر أن حلول كل موجة كان مرتبط بنمط معرفي جديد، فالمعرفة التي ولدت الزراعة مختلفة عن المعرفة التي ولدت الصناعة، كما أنها بدائية بالنسبة لمعرفة الصناعة، والأمر ذاته ينطبق على المعرفة التي ولدت الموجة الثالثة والتي تعتبر المعرفة الصناعة بالنسبة لها بدائية، وفي معرض حديثه عن الموجات ينوه إلى تأثيرها على جميع مناحي الحياة، فهي ستؤثر على كل فرد منا فالأسرة مجزأة والاقتصاد محطم والأنظمة السياسية مشلولة والقيم تُضرب بعرض الحائط،، وأكد على الاضطرابات التي تصاحب حضور كل موجة، حيث ولّد حضور الموجة الثالثة جيشاناً اجتماعياً تخضع له الإنسانية برمتها، وذلك يعود إلى ما تحمله الحضارة الجديدة من قيم تتناقض مع الحضارة الصناعية القديمة ، فهي تحمل تكنولوجيا متقدمة مناهضة للحركة الصناعية، كما أن كل موجة تحمل بين طياتها صراعات تختلف عن صراعات الموجة السابقة واللاحقة، لذلك نجد توفلر يتحدث عن عدم العودة الى صراعات قديمة والسبب أن كل تقدم يفرض معرفة متقدمة وصراعات متقدمة.

الكلمات المفتاحية: موجة، معرفة، استبدالية، فلسفة التاريخ، التقدم التاريخي، الديالكتيك، التاريخانية.

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*أستاذ مساعد – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين –اللاذقية – سورية.

**طالبة دراسات عليا (ماجستير) –قسم الفلسفة –كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة تشرين –اللاذقية – سورية.

مقدمة:

سعى توفلر إلى قراءة تطور الحضارات البشرية من خلال موجات، وأكد أن كل موجة فرضت قوانينها على البشرية برمتها، لكن لم يكن الدخول ضمن خصائص الموجة على وتيرة واحدة لدى كل الدول، إنما هناك دول كانت سبّاقة للدخول، في حين تأخر بعضها الاخر، كل موجة حملت معها معرفة مختلفة، عما سبقها من موجات، فأحضرت نمطاً جديداً في الحياة الاسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

أهمية البحث:

حاول البحث تسليط الضوء على مفهوم الموجة التوفلري، ساعياً لتوضح هل الموجة من إنتاج توفلر نفسه، أم أن توفلر اعتمد على ما سبق انتاجه من مفاهيم وانطلق منها، كما حاول البحث أن يقدم قراءة فلسفية للموجة من خلال مجموعة مفاهيم منها فلسفة التاريخ والديالكتيك والتقدم التاريخي وأيضاً التاريخانية، مركزاً على التراكم المعرفي الذي يفضي إلى التقدم العلمي والتكنولوجي، وبالتالي يؤدي وفق توفلر إلى الانتقال من موجة إلى أخرى.

أهداف البحث:

تتركز أهداف البحث على تتبع التقسيم الحضاري التوفلري وما له من خصائص ينفرد بها، بالإضافة للإشارة إلى أهمية التقدم العلمي والمعرفي في صنع الموجة التوفلرية.

منهجية البحث:

يتناول هذا البحث مفهوم الموجة التوفلرية وما له من علاقة تأثير وتأثر بالمعرفة، وتم تناوله من خلال منهج نقدي تاريخي، يتتبع تقدم الموجات وتطور المعرفة مشيراً إلى التغييرات التاريخية التي حدثت في كل موجة.

أولاً: الموجة

لقد حاول الفكر الإنساني عبر تاريخه تقديم تفسيرات للظاهرة الحضارية، باحثاً عما يميز إنسانيته عن مملكة الحيوان، غير أن البحث في جذور الحضارة ومآالاتها يؤدي دوماً في الانزياح إلى حقل الدراسات التاريخية، وهو الحقل الذي يكشف عن النكبات والحوادث والصراعات التي عانت منها الحضارة البشرية عبر تاريخها الطويل، غير أن وجهة النظر الأكثر رسوخاً في مجال الدراسات الحضارية تركز على حقيقة كون الحضارة الإنسانية جملة من الحقول المعرفية المتنامية، والتي تراكم إنجازات البشرية معرفياً عبر تاريخها الطويل، وتحولها إلى ابتكارات وأنماط للإنتاج تدفع الحضارة البشرية قدماً في مسيرتها الطويلة، ويمكن أن نعتبر أن مفهوم الموجة الذي جاء به ألفين توفلر هو أحد المحاولات الجادّة والرائدة لتقديم رؤية تفسر المجتمع البشري والتطور المعرفي، وربما تكون فكرة الموجة قد أفادت من دراسات فلسفة التاريخ، واستقت من مفاهيمها عموماً، ومفهوم التقدم التاريخي خصوصاً الذي يمكن أن نتناوله في سياق التحولات المادية الديالكتيكية، والتي تنجم في حركتها عن الصراع المتولد عن تقدم قوى متضاربة المصالح تحاول فرض هيمنتها على المجتمعات البشرية، حيث إن كل تقدم تاريخي يولد مفاهيمه الخاصة التي تناسب عصرها الخاص.

يقول قاسم محبشي علينا ((توضيح أن التصور الموجي للتاريخ أي تشبيه حركة التاريخ "بموجات" تغيير، ليست من إبداع توفلر كما يزعم في كتابه " بناء حضارة جديدة " بقوله: " إن تشبيه التاريخ " بموجات " تغيير – في اعتقادنا – أكثر تعبيراً عن ديناميكية، وأنسب من الحديث عن الانتقال إلى "ما بعد الحداثة "))[1]

حيث نجد مفهوم الموجة في الجانب الاقتصادي لدى عالم الاقتصاد السوفييتي كوندراتيف، الذي يُعتقد أنه أثّر في أسس علم الاقتصاد الذي تستند إليه النظرية التوفلرية. ومفهوم الموجة لدى كوندراتيف يمكن أن يتقاطع ويتفق في نظريته مع ما جاء به توفلر في كون الاقتصاد الرمزي الذي جاء في نهاية الموجة الثانية الصناعية كان أساس الانتقال إلى الموجة الثالثة المعرفية، وما

[1] **محبشي، قاسم، ألفين توفلر وحضارة الموجة الثالثة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عدن، العدد 13، 2008، 6**

نريد الإشارة إليها، أننا نستطيع أن نطبق موجات كوندراتيف ضمن الموجة الثانية الصناعية ليساعدنا على عملية الانتقال للموجة الثالثة المعرفية، خصوصاً بعد أن دخل الاقتصاد الرأسمالي في فترة ركود في عام 1971م، فالدورة الأولى التي أحدثت ((تحولات هامة في النظام الرأسمالي كان من بينها تطور توجهاته نحو التركز في رأس المال والتركز في الإنتاج، وعندئذ دخلت الرأسمالية في الاحتكارية))[2]، أما الدورة الثانية تمثل ((التوسع الرأسمالي عالميا وتبلور ظاهرة الامبريالية... إذ شهدت هذه الفترة سيطرة دول أوروبا "بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، اسبانيا، البرتغال" على كامل القارة الافريقيا وجزء من اسيا))[3]، وسمات هاتان الدورتان شبيهتان بما تحدث عنه توفلر عن تمركز رأس المال لدى الجانب الأوروبي وانشاء مستعمرات لها لتصريف فائض الإنتاج، وهذا ما وضحه توفلر عندما قال ((كانت حفنة أو حفنتان من قادة البنوك المركزية وكبار الموظفين يستطيعون التدخل بشكل حاسم بكل الأسعار))[4]، وعندما جاءت الدورة الثالثة التي يتحدث عنها كوندراتيف جعلت من الولايات المتحدة ((الرابح الوحيد))[5]، وهذا شبيه بما أشار إليه توفلر على انتقال تمركز رأس المال من بريطانيا إلى شارع ول ستريت، وهذه الدورات الاقتصادية تتخذ سمات جديدة باستمرار وهي مرتبطة بأسواق الدول المتقدمة، حيث ان ((الاقتصاد الرأسمالي يأخذ الشكل الدوري في حركته عبر الزمن، وان الدورة الاقتصادية تتحرك في جميع مفاصله حيث ينتقل من الانتعاش إلى الركود ثم ينهض من جديد من الركود إلى الانتعاش))[6]، وهنا علينا أن نشير إلى كون المفكران يرغبان بالقول ان الاقتصاد الرأسمالي هو النموذج الأخير للبشرية ولن تستطيع تجاوزه، إنما سيتم التعديل داخله فقط.

ويمكننا أن نجد حدود الموجات التوفلرية، والمقصود بالحدود أي مراحل الانتقال من موجة إلى أخرى، أي التغيير في أسلوب الاقتصاد السائد، حيث قدم أريك هوبزباوم توضيحاً للثورات التي حدثت في أوروبا، واضعاً ما يشبه الموجات التوفلرية دون أن يذكر الموجة بشكلٍ صريحٍ، فعندما أشار إلى ارتفاع مستوى تصنيع الحديد والفولاذ بين عامي 1890/1870، وجد أنها كانت ((مؤشراً مناسباً على درجة التصنيع بمجمله))[7]، حيث كان ازدياد النشاط الصناعي في أوجه، وكان هذا على حساب مركز وقوة النشاط الزراعي، فتراجع عن قيادة النشاط الاقتصادي، كانت وفق أريك هوبزباوم ((الزراعة هي الضحية الأبرز...))[8]، وكأننا هنا أمام الانتقال وفق الموجات التوفلرية، كما يشير أريك هوبزباوم إلى الحاجة الملحة لتوسع الأسواق الناجم من ((التقانة الجديدة في الصناعة قد جعلت من الزيادة الهائلة في الإنتاج أمراً ممكناً وضرورياً....))[9]، قد تكون هذه إشارة من هوبزباوم إلى ادخال التكنولوجيا وتقنياتها إلى عالم المصنع، والتي هي وفق توفلر المرحلة الرمزية التي سادت في نهاية الموجة الصناعية والتي مهدت للانطلاق إلى الموجة المعرفية المابعد رمزية.

عندما نقرأ تغييرات العالم وتطورات المعرفة من خلال الموجات التوفلرية، فإن هذا يقدم لنا رؤيةً عامة لما يحدث، حيث يمكن أن نطلق على الموجات خاصية الحركة الكلية للتغير، هذا يقودنا للقول إن لدى توفلر ثلاث حركات كلية خضعت لها البشرية، يأتي ترتيبهم وفق التالي؛ الحركة الزراعية والحركة الصناعية والحركة المعرفية. فالسؤال الذي يفرض نفسه هنا هل يوجد تغيير كلي أم جزئي؟ وما هو وما طبيعته؟ وذلك على اعتبار أن الحركة الموجية التوفلرية هي تغيير وسائل الإنتاج وشروط العمل وفق تغير جذري في المعرفة وأدواتها وآلياتها. فكيف تكون هذه الحركة تاريخياً ومعرفياً على المستويين الكلي والجزئي؟ أي ما هي طبيعتها الكليّة؟ وما هي التغيرات أو الحركات الجزئية في داخلها؟

---

[2] الربيعي، رجاء، التحليل الفكري للدورات الاقتصادية، 12

[3] المرجع نفسه، 12

[4] توفلر، الفين، تحول السلطة جزء أول، ترجمة لبنى الريدي، الهيئة المصرية العامة للكتب، 79

[5] الربيعي، رجاء، التحليل الفكري للدورات الاقتصادية، 12

[6] المرجع نفسه، 4

[7] هوبزباوم، أريك، عصر الإمبراطورية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2011، 83

[8] المرجع نفسه، 85

[9] المرجع نفسه، 87

علينا أن نشير هنا إلى الدور التاريخي المحرك الذي لعبه ويلعبه تطور العلوم، وذلك وفق نظرية توفلر، ورغم أن نظرية توفلر تتسم بحدود واسعة من الواقعية، إلا أنه يتوجب علينا التزام الحذر في تحليل الأفكار وفصل الواقع عن المتخيل منها، فنظرية توفلر هي نظرية تنطلق من الواقع الراهن، ولكنها لا تنظر لما يجب ان يكون، ولا لما هو كائن، بل لما سيتحقق وما سيكون في المستقبل، فهل هذا يعني أن للمادة أسبقية على الفكرة في نسق توفلر الفكري؟ أم أن العكس هو الصحيح؟ بمعنى هل ما كان لدى الموجة الزراعية من معارف هو ما ولد أساليب الإنتاج؟ أم إن تطور الإنتاج هو من قاد إلى تطور المعرفة؟ وهل هو الأمر ذاته بالنسبة للموجة الصناعية والموجة المعرفية؟

يتحدث توفلر عن نوع من ديالكتيك بين ثالوث السلطة الذي يتضمن القوة والثروة والمعرفة، فيؤكد أن التمازج بين هذه العناصر هو ما ينتج خصائص الموجة، فعندما سيطرت القوة كانت الموجة زراعية، وبانتقال السيطرة للثروة كانت الموجة صناعية، أما في سيادة المعرفة بدأت الموجة المعرفية. ولا يتحدث توفلر عن زوال عناصر ضمن الثالوث فالديالكتيك هو التبديل والتغيير والتمازج، إنما يتحدث عن التغيير في مراكز العناصر وخضوع عنصرين لتأثير العنصر الثالث، فالديالكتيك التوفلري لا يمكن فهمه إذا تناولنا كل عنصر على حِدة فتوفلر ليس بعيداً عن تعريف ستالين للديالكتيك الماركسي، حيث قال: ((تَعتبر الطريقة الديالكتيكية أن أي حادث من حوادث الطبيعة، لا يمكن فهمه إذا نظرنا إليه منفرداً، بمعزل عن الحوادث المحيطة به...))[10]، فعملية التغيير بين العناصر تعتمد على ما ينال هذه العناصر من تطور و تقدم، وهذا التغير إنما يعود للحركة الجزئية التي تعتمد على التغيير في وسائل الإنتاج، حيث يوافق ستالين قول انجلز ((إن الطبيعة بأجمعها، من أضأل الأجزاء إلى أكبر الأجسام، من حبة الرمل إلى الشمس من البروتيسيت* إلى الانسان، هي في حركة دائمة من النشوء والاضمحلال.... في حركة وتغير مستمرين أبديين))[11]، فالديالكتيك التوفلري ليس ديالكتيكاً دائرياً، إنما هو ديالكتيك قائم على مفهوم التقدم الذي ينقلنا من الحالة القديمة إلى الحالة الجديدة، أي هو انتقال من حركة بسيطة إلى حركة أكثر تعقيداً وتركيباً، فالبسيط لدى توفلر هو آلية الإنتاج الأولى في الموجة الزراعية مقارنة مع آليات الإنتاج المعقدة في الموجة الصناعية، وكذلك تصبح الموجة الصناعية متسمةً بالبساطة مقارنةً بتعقيد وتركيب آليات المجتمع المعرفي مابعد الرمزي، وهذا يؤكد قول ستالين أن ((الديالكتيك .... تطور ينتقل من تغييرات كمية ضئيلة وخفية إلى تغييرات ظاهرة وأساسية أي تغييرات كيفية))[12].

لكن ما هو الدياكتيك او الجدل من حيث المبدأ والنظرية؟

يعد الديالكتيك قبل كل شيء منهجاً معرفياً لبناء النظرية المعرفية، وهو يقوم على نوع من الحوارية النقدية بين المقدمات المعرفية او الأفكار، وقد تتراوح هذه المقدمات بين العقلي والنظري والتاريخي والمنطقي، يشير كيالي إلى هذا المعنى قائلاً: ((كان الديالكتيك أو الجدلية في البداية تعبيراً عن الحوار الذي يقوم بين المتنازعين حول رأي من الآراء كما بعض الفلاسفة القدامى يستخدمونه للتعبير عن المراحل المتدرجة للمعرفة...))[13]، وهكذا فإن الديالكتيك او الجدل من حيث المبدأ يشير إلى تلك الممارسة النقدية الحوارية التي تبني المعرفة على أساس جدل المقولات النظرية ومقابلتها نقدياً، على ان التطور النهائي للديالكتيك ظهر وتبلور مع ظهور المنهج الديالكتيكي التاريخي، ((فإن الجدلية هي دراسة محتوى الفكر نفسه لا شكله، وهي إلى ذلك دراسة القوانين الأساسية للتغيير والحركة والتداخل في الطبيعة والمجتمع على السواء)) [14]

---

[10] ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، دار دمشق،2007،.24

*** الخلية الحية الابتدائية**

[11] ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، دار دمشق،2007، 26.

[12] المرجع نفسه، 27.

13 الكيالي، عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، الجزء2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص 49.

14المرجع نفسه، المكان ذاته،

إننا في قراءة لنظرية توفلر نشهد عملية تقدمٍ تاريخي، فالانتقال من موجة إلى أخرى وفق توفلر يتم من خلال تراكم المعرفة وتطورها، وأن تطور المعرفة هو الذي يساعدنا على فهم التقدم التاريخي وفق زعم توفلر، لكن هل تدفعنا وجهة نظر توفلر هذه إلى القول إن التقدم التاريخي يقودنا إلى الديمقراطية الليبرالية؟ لقد تحدث فوكوياما عن اختتام التاريخ بناءً على افضلية النظام الدمقراطي، فقال إن: ((الفطرة السليمة توضح أن للديمقراطية الليبرالية مزايا كثيرة على منافستيها الكبيرتين في القرن العشرين، وهما الفاشية والشيوعية...))[15]، لقد استطاعت الديمقراطية الليبرالية أن تحقق السيادة العالمية، حيث صنعت من ثقافتها النموذج الأمثل بالنسبة للمنتمين إلى الموجة الصناعية، فإذا كان التقدم التاريخي يتحقق وفق المعرفة حسب قول توفلر فهل المعرفة هذه تقود إلى الديمقراطية الليبرالية؟ أم يريد توفلر بناء ملامح ما بعد الديمقراطية الليبرالية؟

كما إن حديث أريك هوبزباوم حول تحول وتغيير السلطة يتوافق مع ما جاء به توفلر، حيث يقول ((ففي منتصف القرن الماضي عبرنا مرحلة جديدة من تاريخ العالم خُتمت بها حقبة من التاريخ كما عرفناه خلال عشرة الالف سنة مضت، أو أقل إن شئت: منذ ابتداع فن الزراعة ... لقد بتنا لا ندري إلى أين نحن ماضون))[16]، لقد قام هوبزباوم أيضاً بربط تغيّر السلطة بتغير نمط الاقتصاد كما فعل توفلر عند تقسيمة للموجات، وأشار أيضاً إلى التغييرات التي حدثت في مجال التقنية وثورة الاتصالات، والتي ألغت حدود المسافة والمكان، كما أدت اقتصادياً إلى أفول الزراعة، وتم الاتجاه إلى المدينة، إن التمدن لدى هوبزباوم يأخذ مستويين، أولاً التمدن في الدول الحديثة وثانياً التمدن في الدول المعاصرة، والمستوى الأول((يحصل للمدن في العالم المتقدم... هو تمدن المناطق التي المحيطة بمركزها))[17]، وقد تكون هذه الفكرة قريبة من تقسيم توفلر الموجة الصناعية إلى رمزية ثم انتقلت إلى مابعد رمزية نقلتها إلى الموجة الثالثة المعرفية.

إن السلطة لن تستطيع وفق هوبزباوم أن تتخذ الشكل الرأسي، أي أن ((سكان العالم خلال القرن العشرين "خارج الاميركيتين" لم يعودوا محكومين على نحو كبير كما كانوا قبل من أعلى لأسفل))[18]، بسبب ظهور الدول المستقلة ذات الشرعية المستمدة من الشعب أو الأمة، وهنا تحقق مفهوم المواطنة، كما أشار توفلر أيضاً إلى النموذج الجديد للسلطة مختلف عن النموذج الرأسي في قوله ((أُعيد تشكيل المعرفة بذات عمق إعادة تشكيل كل من العنف والثروة. حتى أن كل عناصر ثلاثية السلطة تمر بثورة متزامنة))[19].

كما حُطمت قيود الاحتكارات سواء في الجيوش أو التسليح أو السجون وما يرافقها من سلطة، وأصبحت متاحة للكثير من الدول، وكل ذلك من التطور والتقدم الذي طال المعرفة، وسهل الانتقال إلى اقتصاد سريع التعولم، ويمكن أن نلاحظ هذا عندما أثار توفلر تساؤل هل مسؤولية الدولة تأمين أم توفير؟ وهذا ما نجده في كلام هوبزباوم ((ان الدول باتت... تتخلى عن كثير مما كانت تمارسه من أنشطة تقليدية مباشرة، كالخدمات البريدية والشرطة والسجون وحتى أجزاء حيوية من قواتها المسلحة، لصالح متعاقدين من شركات ربحية خاصة))[20].

إن تأسيس توفلر مفهوم الموجة ناتجٌ من ملاحظته تطور المعرفة والتي تبعها اختلاف أسلوب الاعتراف بالدول، والمقصود هنا بالاعتراف هو الدرجة التي تكون عليها دولة من الدول ذات السلطة المؤثرة على نطاقٍ عالمي، وينطبق هذا على المسارين التاريخيين اللذين تحدث عنهما فوكوياما والذين أفضيا إلى الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية، حيث يرى فوكوياما أن محاولة تأسيس تاريخ عالمي أسفرت عن ((مسارين تاريخيين متوازيين، الأول: تحكمه العلوم الطبيعية الحديثة ومنطق الرغبة، والثاني: يحكمه

---

[15] فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الأخير، ترجمة فريق من المترجمين، مركز الانماء القومي، لبنان، 1993، 251

[16] هوبزباوم، أريك، العولمة والديمقراطية والإرهاب، ترجمة أكرم حمدان ونزهت طيب، الدار العربية للعلوم والنشر، بيروت،2009، 27

[17] المرجع نفسه، 29

[18] المرجع نفسه، 30

[19] توفلر، الفين، تحول السلطة الجزء الثاني، ترجمة لبنى الريدي، الهيئة العامة المصرية للكتاب،1996، 234

[20] هوبزباوم، أريك، العولمة والديمقراطية والإرهاب، ترجمة أكرم حمدان ونزهت طيب، الدار العربية للعلوم والنشر، بيروت،2009، 31

الصراع من أجل الاعتراف. وقد كانت نهايتا المسارين واحدة لحسن الحظ ألا وهي الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية))[21]، ربما يدفعنا هذا للقول أن الفكر التوفلري كان في جوهره مناصراً خفياً للرأسمالية، وما أراد الفكر التوفلري الإشارة إليه هو التغير في أساليب الإنتاج التي نقلنا إليه تراكم المعرفة، فتوفلر يصنف العمال ووسائل الإنتاج وفق المعرفة التي تسيّر الموجة، ففي الموجة الصناعية وجدت بروليتاريا ورأسمالية، أما مع الموجة المعرفية انتقلنا إلى عمال المعرفة الذين أطلق عليهم الكوجنيتاريا والذين يشكلون طبقة جديدة بحاجة لفهم ومنطق جديد، في مقابل عمال لم يستطيعوا التأقلم مع دخول عصر المعرفة وأدواته إلى وسائل الإنتاج، فبقي عملهم مقتصراً على رعاية المسنين والأطفال وغيرها من الأعمال التي لا تتطلب تدخل التكنولوجيا، وهذا ترسيخ لعدم المساواة الذي هو من خصائص الأيديولوجيا الليبرالية في صورتها الرأسمالية، وهذا ما أكده أيضاً فرانسيس فوكوياما حين قال: ((تحل محل الامتيازات الموروثة تقسيمات طبقية جديدة أساسها المهارة والتعليم))[22]، على أن ما لوحظ في النص التوفلري أن الاصطلاحات الطبقية الجديدة التي يقدمها لنا توفلر، تفيد في نهاية الهيمنة الرأسمالية من ظهور المستهلك المنتج (المنتهلك)، خصوصاً مع تآلفه مع طبقة الكوجنيتاريا، وهذا يحملنا على الاعتقاد بأن ما يسعى توفلر لتأسيسه هو الشكل الجديد للديمقراطية الليبرالية الرأسمال–معرفية، التي تتسم باللامركزية، وفق أسلوب الإنتاج الجديد، أي توضيح الحركة الكلية والجزئية وفق ما يناسب الديمقراطية الليبرالية الرأسمال–معرفية.

وبما أن التاريخ وفقاً للنظرية المادية هو إنتاج وإعادة إنتاج، فكل نظام اجتماعي في عصر ما يخضع لنوعين من التطور؛ أولاً التناسل أي إنتاج البشر، وثانياً تطور وسائل الإنتاج، وهذان الإنتاجان يتحكمان في تطور المجتمع، حيث إن النظم الاجتماعية ذات وسائل الإنتاج غير المتطورة تُسيّر من خلال الروابط الأسرية التي تعتمد في جوهرها على ضبط انتقال ثروة القبيلة، فنمط الملكية هنا ملكية خاصة، يظهر الصراع الطبقي من خلال اختلاف الثروة واستغلال قوة عمل الآخرين، أي أن الثروة من خلال الملكية كانت أساس تطور المجتمع واتخاذه أشكالاً متعددة لينتهي في نموذج الدولة، ففي البدء كانت الثروة تعود للقبيلة برمتها تلا ذلك انتقال الثروة والسلطة للأسرة، ونجد هذا واضحاً في قول أنجلز: ((ولكن بانتشار تربية القطعان الحيوانية واستخدام المعادن ثم ظهور الزراعة تغير هذا الوضع كلياً، فقد أصبحت الزوجة التي كان الحصول عليها سهلاً فيما مضى أصبحت تشترى ويدفع فيها قيمة مقابلة، وجدت نفس الشيء مع القوة العاملة وخاصة بعد أن خرجت القطعان من ملكية القبيلة ودخلت في ملكية الأسرة))[23]، وهذا شبيه بدمقرطة رأس المال الذي جاء توفلر على ذكرها في الاقتصاد ما بعد الرمزي، إن عملية الانتقال إلى الأسرة جعل السلطة والثروة تتمركز بيد الأب، فكان من ضمن أملاكه أيضاً العبيد والرقيق، حيث كانت الأسرة في خضم ((مرحلة الانتقال التي خرجت منها القرية كوحدة اجتماعية، كما خرجت منها الزراعة الفردية التي كانت أول أمرها توزيعاً دورياً للأرض بين الأفراد ثم أصبح التوزيع دائماً))[24]، كما ظهر العمل المأجور مع عمل الرق الناجم عن الملكية الفردية، وبانتقالنا إلى مجتمع المصانع الذي اعقب المجتمع الزراعي ((نجد الطابع الخاص بالخضوع الاقتصادي الذي يحط من شأن العامل يظهر بكل حده بعد إلغاء المزايا القانونية الخاصة بالطبقة الرأسمالية وتطبيق المساواة الأسمية الكاملة بين جميع الطبقات))[25]، إن هذا التغير في نمط الإنتاج يؤثر على السلطة، هذا ما يمكن أن نطلق عليه المادية الديالكتيكية، فهي توضح ((أن الفلسفة المادية هذه التي تريد إيجاد تفسير علمي لمشكلات العالم، تقدمت عبر التاريخ مع تقدم العلوم. بالتالي تنطلق من العلوم وترتكز عليها وتطور معها))[26]، فإذا كان توفلر

[21] فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الأخير، ترجمة فريق من المترجمين، مركز الانماء القومي، لبنان، 1993 ،252

[22] المرجع نفسه، 254

[23] انجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة أحمد عز العرب، دار الطباعة الحديثة ،48

[24] المرجع نفسه، 54

[25] المرجع نفسه ،70

[26] بولتزر، جورج، مبادئ أولية في الفلسفة، ترجمة فهمية شلاف الدين، دار الفارابي، 24

يفسر لنا العالم وفق موجات أساسها ما تحويه كل موجة من معرفة وتطور هذه المعرفة هي ما يدفعنا للانتقال إلى موجة أخرى، هل يدفعنا هذا للقول بأن توفلر ماركسي المنهج في تنظيره لسيادة رأسمال–المعرفة؟

علينا أن نشير هنا إلى أن الفلسفة المادية كان لها مسار رافق تطور العلوم، ففي النشأة الأولى كانت ترتكز على التفسير العلمي للظواهر الطبيعية مجتزأةً من سياقها التجريبي، ثم انتقل التفسير العلمي ليصبح عملية تدرّس وفق تراكم تاريخي، وهذا ما قادنا إلى مادية ديالكتيكية، حيث إن ((الفلسفة التي ولدت مع العلوم، وارتبطت بها وخضعت لها، تقدمت وتطورت معها لنتوصل إلى المادية الحديثة، مادية ماركس وانجلز، إلى أن تجمع من جديد العلم والفلسفة في المادية الديالكتيكية))[27]، كما أن المعرفة التي يقودها الديالكتيك المادي تحمل في طياتها أيديولوجيا متغيرة وفق تغير الموجة الناجم من تطور المعرفة، حيث أن تغير الأيديولوجيا رافقه تغير السلطة ، إن الأيديولوجيا مجموعة من الأفكار التي تعبر عن رؤية فئة من الناس، وقد تكون هذه الرؤية في المجال السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، الأيديولوجيا وجدت مع الوجود الإنساني، فيمكن أن نلاحظ أثارها في التاريخ من خلال الامبراطوريات، فالاضطهاد الذي مارسته الإمبراطورية الرومانية الوثنية على المسيحيين نوع من الأيديولوجيا الدينية، وضحايا الاستقطاب الأيديولوجي هم الأفراد الخارجين عنها، هذا ما نجده عندما اعتنقت الامبراطورية الرومانية المسيحية حيث طبق الاضطهاد على الوثنيين، فالأيديولوجيا هي شكل من أشكال المعرفة، وبما أن المعرفة في تطور مستمر فالأيديولوجيا أيضاً في عملية تطور، وأيضا ما عانته البشرية خلال الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي مثال واضح على صدام الأيديولوجيات وسقوطها، فكل أيديولوجيا تولد من انتهاء أيديولوجيا، و أكثر ما تم تسليط الضوء عليه هو الأيديولوجيا النازية والسوفيتية، والغربية، وما يساعد هذه الأيديولوجيات على تحقيق ذاتها هو مدى تعصب أفرادها لها فيساعدها على التقدم والسيطرة، وعامل قوتها هذا هو نفسه عامل انهيارها، كما تتصف الأيديولوجيا بما لديها من ثبات في رؤيتها وتفسيراتها وهذا لا يتناسب وعالم التغيير المستمر أي مجتمعات الموجة الثالثة المعرفية، ففي الموجات التي سبقت الموجة المعرفية كالموجة الزراعية والموجة الصناعية كانت الأيديولوجيا قادرة على الاستفادة من ثباتها، حيث كان التجانس والثبات هو جوهر الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

والأيديولوجيا كمفردة ليست أصيلة في اللغات، وعندما تم استخدامها من قبل عدد من المفكرين اتخذت معاني مختلفة، كما إن المترجمين للغة العربية سعوا لترجمتها وفق أقرب مصطلح يوضح معناها، عرفها معجم العلوم الاجتماعية والفلسفية ((إنها مجمل التصورات والأفكار والمعتقدات ، وطرق التفكير لمجموعة سواء كانت أمة، أو طبقة أو فئة اجتماعية أو طائفة دينية، أو حزب سياسي، وتكون الأيديولوجيا عادةً مشروطة ومحددة بالظروف المناخية والعادات))[28]، أما الأيديولوجيا فهي ((بمعنى "علم الأفكار" وكشيء مقابل للعالم المحسوس وربما ومناقض له)) [29]، كما يمكن أن نوضحها بكونها البنى الفوقية وفق النظام الماركسي، والتي لم تكن لها أي أهمية، حيث ركز النظام الماركسي على البنى التحتية في أيديولوجيته، و الأيديولوجيا هي الجانب العقائدي للسياسة الذي لا بد له من استخدام الإعلام والدعاية.

السؤال هنا هل ستنتهي الأيديولوجيا يوماً ما؟ وهل يمكن أن يوجد الأفراد دون أيديولوجيا تنظم حياتهم؟ وهل الأيديولوجيا بحد ذاتها معرفة؟ وهل تقدم نوعاً من المعرفة كنتيجة نهائية لها؟

إن رفض الأفراد لأيديولوجيا ما يعني أنها لا تحقق رغباتهم ونمط الحياة الذي يريدون، حيث ((تمثل الأيديولوجيا نسقا للأفكار، ينتظم في هيكل واضح، وظيفته تفسير العالم، كما تمثل بنية معدة للاستخدام...))[30]، أما القول بنهاية الأيديولوجيا أمر غير منطقي، فعندما سقط الاتحاد السوفيتي القائم على الأيديولوجيا الماركسية، اعتقد المفكرون الليبراليون أن الرأسمالية الأمريكية هي

---

[27] **المرجع نفسه، 45**

[28] **جلال الدين سعيد، معجم العلوم الاجتماعية والفلسفية، نيويورك، 1944، 149**

[29] **الكيالي، عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، الجزء1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1985، ص 421.**

[30] **أمال مجدي، الأيديولوجيا في موت الأيديولوجيا، جامعة الإسكندرية، 9/1551wwwpdffactory.com**

الأيديولوجيا بشكلها النهائي وتجليها الديمقراطي، فكانت نهاية التاريخ بالنسبة لهم، أي نهاية إنتاج الأفكار والمعرفة، و((جاءت هذه الفكرة لتقطع الطريق أمام التفكير في تغيير النظام العالمي الراهن الذي يقوم على سيطرة الرأسمالية المتقدمة وايديولوجيتها))[31].

فالذي يعطي الأيديولوجيا أهميتها كونها وسيلة تواصل الفرد مع أفراد مجتمعه ومؤسساته، ومن هنا يمكن أن نفهم لما أطلق نابليون لفظة أيديولوجيا على معارضيه، لرفضهم غاياته وكان الاستخدام سلبياً، لم يكن للأيديولوجيا نموذجاً واحداً، ولم تستخدم أدوات واحدة، ففي الموجة الزراعية ارتبطت الأيديولوجيا بالدين، ومع الموجة الصناعية التي نقلت الأفراد من القرى إلى المدن وتم تأسيس الدولة فأصبحت الأيديولوجيا مرتبطة بالطبقات الاجتماعية، والكثير من الأيديولوجيات نشأت منذ الحرب العالمية لكن لم تستطع جميعها أن تنجح، والسبب أن الأيديولوجيات لم تكن قادرة على وضع قواعد تشمل كل جوانب المجتمع، أي أنها لم تتصف بالنظرة الشمولية للمجتمع، رغم محاولاتها المستمرة عبر التاريخ تقديم صورتها على أنها شمولية.

إن الطبقة من منظور نقدي تاريخي هي التي تسيطر على وسائل الإنتاج، وهي ذاتها المسؤولة عن القوة الفكرية التي يمكن أن نطلق عليها الأيديولوجيا، لأنها تشرف على وسائل الإنتاج الفكري، والطبقات التي لا تسيطر على وسائل الإنتاج الفكري لا يمكنها أن تنتج قوة فكرية، والقوة الفكرية التي تُنتجها الطبقة تساعد على ترسيخ سيطرتها، ويمكن أن نجد المشهد الرابع في مسرحية الأيدي القذرة لسارتر حيث قالت أولغا مخاطبة هوغو ((نحن لا نسعى إلى امتحانك؟ لكن إلى استخدامك وفق كفاءتك))[32]، فإن أيديولوجيا العصر هي أيديولوجيا الطبقة التي تستحوذ على القوة المادية، والقوة المادية في المجتمع الصناعي هي المصنع والعاملين.

تتكون كل أيديولوجيا من طبقتين، الأولى الطبقة التي تُنتج الأفكار وطبقة سيتم تطبيق الأفكار عليها، طبقة منتجي الأفكار هي المسؤولة عن وضع تصورات ومفاهيم الأيديولوجيا، وفي المجتمع القائم على الطبقات كل طبقة تسعى للسيطرة عليها أن تصف ايديولوجيتها على أنها تحقق مصلحة جميع الطبقات الأخرى، أي أن تتخذ ايديولوجيتها صفة العمومية، على أنها الأفكار العقلانية الوحيدة التي تحقق مصلحة الجميع، وأن انتصارها هو انتصار مصالح الجماعة برمتها، فتجلب لجميع الطبقات منافعها، فعلى سبيل المثال ((حين قلبت البرجوازية الفرنسية سلطة الارستقراطية، فقد أتاحت بذلك لعدد من البروليتاريين أن يرتفعوا فوق البروليتاريا، لكن بقدر ما أصبحوا هم أنفسهم برجوازيين))[33]، وعندما نصل إلى مجتمع اللاطبقات تندثر الأيديولوجيا، لكن ليس بالمعنى المطلق، إنما بمعنى أن استخدام الأيديولوجيا لن يأخذ المحور الرئيسي في قيادة الجماعة، والسؤال هنا هل من الممكن أن نصل إلى مجتمع اللاطبقات؟

ماركس أول متحدث عن نهاية الأيديولوجيا، عندما وضح الصراع الطبقي وسيطرة البروليتاريا، معتقداً أنه عندما نحرر الفرد من اغترابه ومن عبوديته الدينية، ونضعه في مجتمع الرخاء أي مجتمع اللاطبقات الخالي من الملكية الخاصة والاضطهاد السياسي، حيث تكون السلطة في يد البروليتاريا ننهي بذلك الأيديولوجيا.

بالمقابل نجد أن نهاية التاريخ لدى فوكوياما والتي أراد منها جعل الأفكار الليبرالية الغربية هي النموذج الأمثل والنهائي، استطاعت هذه الأيديولوجيا أن تطغى أمام الأيديولوجيات الأخرى، وأدلجت النظام الرأسمالي الجديد المعولم، تحت شعار أن الأيديولوجيا الماركسية أثبتت فشلها بسقوط الاتحاد السوفيتي في أوروبا الشرقية، وفي واقع الأمر إن هذا السقوط أعاد الكثير من العصبيات القديمة للظهور، وكذلك الكثير من الحركات الدينية الأصولية، وكل الأفكار كانت نهايتها من حيث التطبيق الاقتصادي او الإنساني أو السياسي في بوتقة سوق الأفكار الليبرالية الغربية، فقد صادق العالم بأكمله (على اختلاف توجهاته)، في فترة ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي تحديداً، على أهمية اقتصاد السوق وأقر بأن النظام التنافسي الرأسمالي هو النموذج الأمثل والنهائي. هذا هو محور الأيديولوجيا في القرن العشرين، لكن مع الاحداث المتتالية التي شهدها القرن الحادي والعشرين لا يمكن لمثل هذه

---

[31] **ناصيف، نصار، الأيديولوجيا على المحك، دار الطليعة، بيروت،1994، 32.**

[32] **سارتر، الايدي القذرة، ترجمة سهيل ادريس وميشيل شويري، دار العلم للملايين، بيروت، 1954، 26**

[33] **ماركس، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق، 58**

الأفكار الاستمرار، ولا يمكنها أن تبقى الأيديولوجيا المسيطرة، خصوصاً مع التحديات التي يواجها النظام الرأسمالي وصعود قوى دولية جديدة.

نجد في حديث توفلر تأكيد على كون الرأسمالية، التي تبنت النموذج الجديد للثروة وجعلها ثروة ثورية والذي هو التقدم التكنولوجي والمعرفي، متخطية بذلك كل الأيديولوجيات الأخرى، أنها النموذج النهائي، فقد تحدث عن ثلاثة عناصر تخضع لعملية ديالكتيكية، وهذه العناصر هي القوة والثروة والمعرفة، والتي هي وفق المنظور التوفلري ((مصادر السلطة الثلاثة– العنف المال المعرفة–أهم مصادر السلطة))[34]، إذا كانت البشرية قد وصلت للمعرفة، هل يعني هذا أن العالم لن يشهد نموذج اقتصادي يتجاوز الرأسمالية الغربية؟ أي أنه لن يشهد أيديولوجيا جديدة؟ فكلام توفلر يدل على كون الرأسمالية الغربية نقلت نفسها إلى حيز أكثر تقدماً ينسجم وتقدم العلوم والتكنولوجيا، وحديث توفلر لا يعني أننا أمام نموذج اقتصادي جديد إنما نحن أمام تغير ينحصر في مستوى تغير وسائل الإنتاج حيث نجد توفلر يقول ((أن نظام الثروة الجديد الذي تطوره الولايات المتحدة يهدد بطبيعته المصالح السياسية والمالية القديمة والكامنة في سائر أنحاء العالم))[35].

لقد حقق النظام الرأسمالي، الحامل الرئيس للأيديولوجيا الغربي، مجموعة من الانجازات الاقتصادية، إذا تميز بكفاءة منقطعة النظير، ولهذا نجحت الرأسمالية الصناعية بتحقيق اقتصاد قوي وترسيخ التماسك الاجتماعي على أساس الوفرة، وهذه كانت سمات المجتمع المثالي في الموجة الثانية الصناعية، فقامت النظم الصناعية بإشباع رغبات الأفراد، لذلك استطاعت أن تحقق استجابة للفئة الغالبة في المجتمع، ورغم كل هذه المزايا التي يتميز بها الاقتصاد الرأسمالي لكنه لم يستطع أن يوفر مطالب جميع الثقافات، ومعاملتها على قدر المساواة جميعاً، هذا يعني عدم انتهاء الصراع الأيديولوجي بين الثقافات الموجودة.

فالأيديولوجيات الناتجة من مجتمع الحداثة القائم على مفاهيم عصر التنوير، لم تستطع التأقلم مع مجتمع ما بعد الحداثة (مجتمع مابعد الرمزية)، فالتغيير في فهم العالم يحتاج تصورات جديدة والتي كانت من أسباب ظهور ايديولوجيات ما بعد الليبرالية وما بعد الماركسية وما بعد النسوية، ففي الوقت التي ترى فيه مجتمعات الحداثة أنها قادرة على إقامة تصورتها حول الحقائق الموضوعية والحقائق الإنسانية، ترى مجتمعات ما بعد الحداثة أنه ضرب من الخيال.

إن المجتمع مابعد الرمزي، هو مجتمع يفتح الباب أمام مختلف الاتجاهات والايديولوجيات وكذلك الثقافات لتكون موجودة تحت سيطرة الرأسمالية الغربية، فانتشار وسائل الاتصال والحاسب والومضات الالكترونية سمح لمختلف الثقافات والايديولوجيات بعرض نفسها لكنها في نهاية المطاف ستصب في دعم وتأييد الرأسمالية الغربية شاءت أم أبت، هذا ما يقوله توفلر ((صرح ما يعرف بإجماع واشنطن ان العولمة وتطبيق الليبرالية في شكل الخصخصة والقاء القيود التجارية، والتجارة سوف تقضي على الفقر، وترسي دعائم الديمقراطية، وتجعل العالم أفضل للجميع))[36]، ولكي يؤكد توفلر سيطرة الرأسمالية بشكلها الجديد يقول ((وبما أن الاندماج الاقتصادي اليوم أشد كثافة، ومتعدد الطبقات، ومعقد بحيث يربط الكثير من الاقتصاديات على كثير من المستويات...))[37].

التاريخ لم يشهد مجتمعاً قائم من دون طبقية، هذا يعني أن التاريخ لم يكن قائما من دون أيديولوجيا، لأن ((التاريخ قد كان تحت سيطرة الأفكار بصورة دائمة))[38]، وما جعل الايديولوجيا تأخذ اتجاهاً أخر هو بدأ التمييز بين العمل المادي والعمل الذهني، وهذا ذاته يعود إلى التقسيم الجديد للحياة، أي التمييز بين الريف والمدينة، فهذا الانتقال هو تحرك من الحياة الهمجية إلى الحياة

[34] توفلر، الفين، تحول السلطة الجزء الاول، لبنى الريدي، الهيئة المصرية العامة للكتب، 29

[35] توفلر، آلفين، الثروة واقتصاد المعرفة، ترجمة محمد زياد يحيى كبة، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود،2008، 8

[36] المصدر نفسه، 129

[37] المصدر نفسه، 132

[38] ماركس، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق، 58

الحضارية، ويعني ذلك التخلي عن التنظيم القبلي والانتقال إلى نظام الدولة، والتي كانت الشكل الأول للدول الصناعية والتي مازالت تتطور حتى أيامنا.

كما يمكننا أن نفهم الموجات من خلال الابستمولوجيا، والتي هي دراسة نقدية للفرضيات أو النتائج الناجمة من تطور العلم، ساعية إلى تبيان قيمتها وأهميتها من خلال توضيح أساسها المنطقي، فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل يمكن اعتبار الموجة قطيعة ابستمولوجيا مع الموجة السابقة واللاحقة؟ وخصوصاً أن القطيعة الأبستمولوجيا هي وضع تصورات وتبريرات منطقية لعوائق لم تستطع علوم ومعارف المرحلة السابقة على تجاوزها، حيث تعتبر القطيعة الأبستمولوجيا جسر عبور إلى مستوى أعلى من التفكير والتطور العلمي، وعلى إثر ذلك نلاحظ أن القطيعات الأبستمولوجيا عمليات متكررة شهدها التاريخ، ففي كل انتقال من موجة إلى أخرى نحن أمام معارف متطورة عما ألفناه، واستخدامنا لمصطلح القطيعة الأبستمولوجيا لا يعني أننا نتحدث عن نقطة بدء جديدة بالضرورة، إنما نتحدث عن نقل معارفنا إلى مستوى متقدم، ووضع حلول لمجموعة عوائق معرفية كانت مع معارف المرحلة السابقة مستحيلة الحل.

هذا يعني أن القطيعة هي استمرارية التطور المعرفي، فلو نظرنا إلى القطيعة لدى باشلار والتي يوضح أنها قفزة معرفية، تحدث وفق سرعة زمنية كبيرة يصفها باشلار بكونها ((الأزمنة التي تفجرت فيها على وجه التحديد الإنجازات العلمية عمن كل الاتجاهات، محدثة بالضرورة تفجرا في الابستمولوجيا التقليدية))[39]، تحدث تغيير على مستويين اثنين، القطيعة على مستوى المعرفة والقطيعة على مستوى النظريات العلمية، قد يكون من الممكن أن نقارب بين القطيعة على المستوى المعرفي والحركة الكلية التي جئنا على ذكرها مقدماً، والقطيعة على مستوى النظرية المعرفية والحركة الجزئية، عند هذه المقاربة ما الذي سنلاحظه؟ سنلاحظ أن التغيرات سواء أكانت على المستوى المعرفي أي الحركة الكلية التي وضحنا بأنها الحركة الزراعية والحركة الصناعية والحركة المعرفية، أي كانت الحركة الكلية هي الطابع العام للموجة، أو على مستوى النظرية العلمية أي الحركة الجزئية والتي أشرنا إليها على أنها التغيير في وسائل الإنتاج وأساليب العمل، هذا يدفعنا للقول إن القطيعة من المنظور التوفلري غير متحققة بشكلها الكامل، فهي التراكم التاريخي للمعارف، والذي بدوره يقودنا إلى نظريات علمية ومعارف جديدة، تؤسس لنموذج معرفي جديد (باراديغم)، فوفق توفلر إن ((لو كانت الزراعة هي أول مراحل التنمية الاقتصادية، والتصنيع هو المرحلة الثانية، فإننا نستطيع الان أن نشهد مرحلة ثالثة وقد أقبلت فجأة))[40]، والمقصود الموجة المعرفة فكأن لتوفلر نماذج تصبغ الحضارات القائمة، والتي بدورها تعتمد على تراكم المعرفة لتحقق نقلات نوعية في أساليب الاقتصاد.

قد يكون من الممكن النظر إلى الفكر التوفلري على أنه فكر ذو نزعة تاريخانية، وذلك لكون التاريخانية تبحث عن القواعد والقوانين ذات المغزى التي تؤدي إلى تغيير التاريخ وجعله ذو مكانه مقاربه لمكانة العلوم الطبيعية، لكن بقوانين خاصة تتعلق بالآليات الثقافية والأيديولوجية، والمعنى الذي تتحقق من خلاله لأحداث الاجتماعية والتاريخية، فتطمح التاريخانية في المحصلة إلى ((إضفاء الشرعية على التاريخ كعلم.... زعموا أن لديه أهداف وأساليب ومعايير المعرفية الخاصة به، التي تختلف عن تلك التي للعلوم الطبيعية))[41]، إذاً مما سبق يمكن القول ان نظرية توفلر ذات نزعةٍ تاريخانية خفية، على اعتبار أن الموجات المعرفية تقودها إرادة الأمم والمجتمعات في التقدم والتحرر من قيود كل منظومة سلطوية سابقة، وتخطي كل عتبة معرفية، وبهذا أيضاً هو من القائلين بالتقدم التاريخي، بينما القطيعة الابستمولوجيا لديه ما هي إلا وصول العلم إلى مرحلة الذروة في حقبة ما، هذا يعني أن لا قطيعة حقيقية في العلم إنما هي عملية تراكمية، فكل موجة توفلرية تنطلق من خلال تضافر جهود علماء الموجة السابقة، ذلك لأنه يجب علينا ((تفسير كل ما يحدث في التاريخ وفقاً للظروف التاريخية المحددة))[42].

---

[39] **باشلار، جاستون، ابستمولوجيا، ترجمة درويش الحلوجي، دار المستقل العربي، بيروت،230**

[40] **توفلر، الفين، صدمة المستقبل، ترجمة محمد ناصيف، المصرية لنشر الثقافة والمعرفة العالمية، القاهرة،1990، 14**

[41] **بيرز، فريدريك، التاريخانية، ترجمة عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر،2019، 6**

[42] **المرجع نفسه، 8**

في واقع الحال تتسم التاريخانية بخاصية النسبوية التي تساعد المتنبئ المستقبلي على تتبع التغييرات ووضع الفرضيات، وهذا بالضبط ما فعله توفلر من خلال تتبع التغييرات التي تطرأ على تغيير وسائل الإنتاج وما تبعها من تغييرات سياسية واجتماعية، وهذا ما دفعه للقول أننا على أعتاب موجة معرفية لم تتضح كافة معالمها حتى الآن، كان هذا ((نتيجة للنسبوية الكامنة في المقاربة التاريخانية للقيم الإنسانية، وإذا كانت هذه السياقات فردية وفريدة وغير قابلة للتطبيق، فيبدو كما لو أنه لا يوجد قيم انسانية))[43]، هذا يعني أن التنقل من موجة إلى أخرى أمر حتمي، كما أنه لا يوجد شكل نهائي وناجز للموجات ففي كل موجة تنمو بذور ما يعقبها من موجات، ونجد توفلر يؤكد أن في عالم المستقبل ستساعدنا المعرفة على التنبؤ بالمخاطر الجوية وإمكانية تخفيفها، وتظهر النسبية في المعرفة عندما يقول توفلر ((إن الاقتصاد الناشئ يجني ثمار النشاط الفضائي بكافة أنواعه وغالياً بطرق غير مرئية ويعد هذا النشاط بالمزيد في المستقبل))[44].

إن الموجة هي المنظومة التي تسيطر وتسيّر الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية والأسرية، فكل موجة تفرض مجموعةً من القواعد والقوانين، وتتميز بمجموعة خصائص وأساليب، وانماط عائلية جديدة، وأطر خاصة لمزاولة العمل، وأساليب جديدة للحياة، ومناهج اقتصادية، تتناسب كل منها مع خصائص كل موجة، وتنبثق عنها صراعات سياسية جديدة، ووعي مختلف يعبّر عن الموجة ذاتها.

يحدثنا توفلر عن ثلاث موجاتٍ تعاقبت على التاريخ، الموجة الزراعية والموجة الصناعية والموجة المعرفية، إن ميزة هذه الموجات هو تأثير تراكم المعرفة وتطورها على المنحى الاقتصادي والسياسي وكذلك الأخلاقي والمجتمعي، وقد ساد قبل هذه الموجات نمطُ حياةٍ منظّمٍ على أساسِ مجموعاتٍ صغيرةٍ متنقلةٍ، تعتمد حياتها على الصيد في شتى أشكاله وجمع الثمار والترحال المستمر بحثاً عن المصادر التي تؤمّن سُبل العيش، فالحياة في تلك المرحلة قائمةٌ على أساسيات العيش فقط.

ثانياً: المعرفة

لقد وجدت المعرفة مع الوجود الإنساني، لكنها بدأت بشكل بسيطٍ وأولي، فاقتصرت في الفترة التي سبقت الموجة الزراعية على معرفة بعض الزراعات المحدودة والتقنيات الزراعية الأولية المتصلة بها، وكذلك فيما يتعلق بالصيد وتتبع توزع المياه عبر مناطق السكن المحتملة بالنسبة للجماعات البشرية، فقد كانت تُخزّن مثل هذه المعارف والمعطيات في أدمغة البشر، ففي تلك العصور لم تكن الكتابة قد ظهرت بعد، كما لم تكن الغاية من المعرفة تحقيق ثروة مالية أو نقدية، فغايتها كانت فقط تلبية كفاف العيش للإنسان يوماً بيوم وهو الامر الذي كان ضرورياً لاستمرار الحياة، وعندما بدأت الموجة الزراعية أصبحت المعرفة أكثر تخصصاً من ذي قبل، فبدأ التركيز على معرفة المواسم الزراعية ومواسم الأمطار، وانتشرت أيضاً مجموعةٌ من الآلات التي تساعد في عملية الزراعة، علينا هنا أن ننوه إلى أن إنتاج الآلات تناسب وكمية المعرفة المتوفرة، فيمكن أن نقول أن الموجة الزراعية وما سبقها قد احتوت على أبسط المعارف الكفيلة بالحفاظ على الحياة، ويشير توفلر إلى أن عناصر الإنتاج التقليدية كانت الأرض والعمل والقليل من رأس المال[45]، وقد تحدث توفلر عن طفرة معرفية ساعدت على انتشار هذه المعارف المتصلة بالحقبة الزراعية، فعندما حدثت طفرة هائلة قبل خمسة وثلاثين ألف عام، حين رسم عبقري مجهول أول صورة على حجر أو جدار كهفٍ لتكون شاهداً على حدث معينٍ أو تاريخ ما، وعندما ظهر هذا العمل العبقري في اختزان الذاكرة غير الشفهية خارج الدماغ البشري، أدى ذلك في المحصلة إلى تقدمٍ هائلٍ أفضى إلى اختراع مختلف أشكال الكتابة وبعد ذلك بألاف السنين حدثت قفزات إضافية هائلة شهدت اختراعات متتالية مثل المكتبات والفهرسة والطباعة وكلها ساعدت على زيادة معدل نمو المعرفة من جيل الى آخر[46].

---

[43] المرجع نفسه، 23

[44] توفلر، آلفين، الثروة واقتصاد المعرفة، ترجمة محمد زياد يحيى كبة، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود،2008، 146

[45]توفلر، آلفين، خرائط المستقبل، ترجمة أسعد صقر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1987 ،42 بتصرف

[46] توفلر، آلفين، الثروة واقتصاد المعرفة، ترجمة محمد زياد يحيى كبة، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود،2008، 165 بتصرف

ومع انطلاق الثورة الصناعية وما حملته من نمط جديد في التفكير والإنتاج –التي كانت نقطة البدء للموجة الثانية الصناعية– انتقلنا الى مستوى أعلى من المعرفة ساعد هذا المستوى في إنتاج آلات المصانع المختلفة، وتطوير ما أنتجته الموجة الزراعية من آلات، فالمعرفة التي بحوزتنا إنما هي عملية تراكم لمعارف سابقة، فهي حصيلة تجارب كل ما مر به الإنسان حتى لحظتها، فيبين توفلر أن أجدادنا لم يعرفوا حتى الأرقام، ولم يكن لهم أي إطلاع على الأرقام والعمليات الحسابية، والفئة القليلة القادرة كانت مصدر خطر بالنسبة للجميع، وبعد ألف عام ظهر معلمو الحساب وبدأوا بإعداد الأفراد للقيام بالأعمال التجارية، وهذا كله يؤكد لنا أن معارف ومسلمات اليوم ليست وليدة لحظة إنما تراكم قرونٍ من التطور الثقافي والفكري، حيث تعلم الأفراد المعارف جيلاً بعد جيل وتم تطويرها وفق حاجات الانسان، ويتم حفظها بطريقتين، أولهما في عقول الناس وتتميز بكونها معرفة غير مرئية، وثانيها يحفظ خارج أدمغة البشر، والنوع الثاني أصبح الجزء الأكبر من المعرفة حيث ((إن الدماغ الخارجي يتوسع بسرعة لا تصدق ففي عام 2002 قدر الباحثون في مدرسة إدارة المعلومات والنظم في جامعة كاليفورنيا أن كمية المعطيات والمعلومات، والمعرفة المختزنة في شكل مطبوعات وافلام واشكال ممغنطة أو بصرية بلغت في تلك السنة وحدها ما يعادل محتويات نصف مليون مكتبة من حجم مكتبة الكونجرس))[47].

إن المعرفة المحفوظة خارجاً بدأت مع النحت في الكهوف وزاد انتشارها مع بدأ الكتابة والمطابع وبلغت أوجها مع الموجة الثالثة والتي يطلق عليها توفلر الموجة المعرفية، حيث ساعدها في ذلك انتشار الأقمار الصناعية والحواسيب والهواتف المحمولة، كما تغيرت طرائق التعامل مع المعرفة وتطويرها مع انتشار التقنيات الرقمية والانترنيت، والتي قدمت طُرق جديدة بالتخزين وسرعة النقل، وهذه التقنيات الجديدة هي التي أدت إلى ظهور مجموعة المفاهيم من تسارع واستبداليه وزوال وغيرها، وهي ذاتها التي أعطت الصفة الثورية للثروة، حيث يقارنها توفلر مع النفط الذي كان محور عمل علماء الاقتصاد في الموجة الصناعية فيجد أن النفط بخلاف المعرفة في حالة نضوب، بينما تتولد المعرفة بالاستخدام، فالمعرفة ليست ناجزة إنما في عملية تطور سريع بشكلٍ غير مسبوق، لذلك تنتج وتتولد الثروة الثوريّة، وهذا يعني أنه مع كل عملية تغيّر في المعرفة التي تسيطر على اقتصاد الموجة الثالثة هناك ثروة جديدة، وأيضاً التطور السريع للمعرفة يؤدي بالضرورة إلى سرعة في اتخاذ القرارات لمواكبة كل تقدم في سوق العمل، والذي أصبح بدوره معتمداً على الحواسيب والمواقع الالكترونية وأيضا الوسائل الإعلامية، وهذه الوسائل هي من تجعل معارفنا قديمةً على الدوام، حتى إن قواعد البيانات ذاتها تفقد صلاحيتها بمجرد الانتهاء من إعدادها، فجميع القرارات المُتخذة تعتمد على المعرفة المتقادمة التي نمتلكها، فمع سرعة تغير ما لدينا من معارف فإنها تتحول بسرعة إلى معارف قديمة، والتسارع الذي نعيشه هو وليد الموجة المعرفية ولا يوجد له مثيل في الموجات السابقة، كما يشير توفلر الى الميزة التي تضفيها انتشار الشبكات الالكترونية والاتصالات اللاسلكية، والذي تشكل البناء التحتي للنمط الجديد للمال. قد لا يشعر بعض الناس بجوهر التغيير كون الشبكات المعلوماتية غير ملموسة ولا يمكن تحديدها كالنفط والسكك الحديدية، لكن يمكن أن ندركها من خلال الشكل الجديد للمال وتدفق الثروة، فلم يعد المال مرتبطاً بالمعادن أو الأوراق إنما تحوّل الى نبضاتٍ الكترونية، كما إن ارتباط المال بالشبكة الالكترونية سيؤثر في توزيع السلطة حيث يقول توفلر ((كل ذلك يفسر لماذا تنطلق الشركات الكبرى والدول في صراع محموم، للسيطرة على الطرق الالكترونية الكبرى للغد))48، والغريب أن توفلر لم يشير إلى كون النبضات الالكترونية لها أساس مادي، فلكي يتم الحصول على هذه النبضات لا بد من وضع نقد بقيمتها كي يتم تداولها، وهذا يعني أن توفلر لم يأتي بنمط اقتصادي جديد، إنما الجديد هو أسلوب التداول.

إننا في الموجة الثالثة أمام معرفة لها مزايا مختلفة عن المعرفة في الموجات السابقة، فمعرفة الموجات السابقة كانت حكراً على فئة معينة، أما معرفة اليوم فيمكن توزيعها لأشخاص كُثر سواء في ذات المكان أو في أماكن بعيدة، فمعارف اليوم غير ملموسة، ولم يتم قولبتها في آلةٍ ما، إنما هي عبارة عن رموز الكترونية يتم تبادلها من خلال أجهزة الإرسال، فهذه الرموز ينتج عنها رموز أخرى

---

[47] المصدر نفسه، 165

[48] توفلر، الفين، تحول السلطة الجزء الأول، ترجمة لبنى الريدي، الهيئة المصرية العامة للكتب،143

بمعنى معرفة أخرى، ومع ازدياد هذه الرموز تزيد احتمالية ظهور تطور في مجال التكنولوجيا، فلا يمكن أن يكون لهذه المعرفة معنىً إذا لم تظهر تطبيقاتها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

النتائج والمناقشة:

1. قدم لنا توفلر موجات، هذه الموجات ليست حضارات جديدة إنما هي صفة تصيغ الحضارات القائمة وتصوغ لها نمط حياة وفق الصفة الراجحة والمسيطرة.
2. إن الانتقال من موجة إلى موجة أخرى أمر حتمي ناجم من تراكم المعرفة عبر العصور.
3. الموجة الثانية الصناعية كانت تحوي مرحلتين، بداية التصنيع ثم المرحلة الرمزية.
4. المرحلة الرمزية كانت جسر العبور للمرحلة مابعد الرمزية.
5. حملت الموجة الثالثة المعرفية مزايا مختلفة فأنتجت انسان المستقبل وفق تعبير توفلر وهو انسان اللاثبات، انسان تتميز علاقاته الاجتماعية والاقتصادية بالزوال والتسارع والاستبدال.

الاستنتاجات والتوصيات:

إن الفكر التوفلري لم يتحدث عن إمكانية وجود حضارات جديدة، إنما تحدث عن تعديلات داخل الحضارات القائمة، وهذه التعديلات لا تتخذ نموذج المواجه بين الحضارات إنما تأخذ نمط السرعة في دخول الموجة، حيث إن كل الحضارات يعاد صياغتها وفق مفاهيم الموجة الجديدة، لكن بالتدريج، كما قد يكون الفكر التوفلري هو حصيلة مفاهيم انتجت من قبل مفكرين أخرين لأن مفهوم الموجة الذي هو أساس الفكر التوفلري لم يكن إنتاج توفلر إنما وجود من سبقه إليها، وعلينا أن نشير أيضاً إلى أن هناك من سبق توفلر في الإشارة إلى أن التراكم والتطور المعرفي يقود العالم إلى أنماط اقتصادية وسياسية واجتماعية مختلفة عما وجد سابقاً.

المصادر والمراجع

المصادر:

1. توفلر، آلفين، خرائط المستقبل، ترجمة أسعد صقر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1987.
2. توفلر، الفين، تحول السلطة جزء أول، ترجمة لبنى الريدي، الهيئة المصرية العامة للكتب.
3. توفلر، الفين، تحول السلطة الجزء الثاني، ترجمة لبنى الريدي، الهيئة العامة المصرية للكتاب،1996.

4. توفلر، آلفين، الثروة واقتصاد المعرفة، ترجمة محمد زياد يحيى كبة، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود،2008.
5. توفلر، الفين، صدمة المستقبل، ترجمة محمد ناصيف، المصرية لنشر الثقافة والمعرفة العالمية، القاهرة،1990.

المراجع:

1. هوبزباوم، أريك، عصر الإمبراطورية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2011،
2. ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، دار دمشق،2007.
3. فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الأخير، ترجمة فريق من المترجمين، مركز الانماء القومي، لبنان، 1993،
4. هوبزباوم، أريك، العولمة والديمقراطية والإرهاب، ترجمة أكرم حمدان ونزهت طيب، الدار العربية للعلوم والنشر، بيروت،
5. انجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة أحمد عز العرب، دار الطباعة الحديثة
6. بولتزر، جورج، مبادئ أولية في الفلسفة، ترجمة فهمية شلاف الدين، دار الفارابي
7. ناصيف نصار، الأيديولوجيا على المحك، دار الطليعة، بيروت،1994.
8. سارتر، الايدي القذرة، ترجمة سهيل ادريس وميشيل شويري، دار العلم للملايين، بيروت، 1954.
9. ماركس، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق.
10. باشلار، جاستون، ابستمولوجيا، ترجمة درويش الحلوجي، دار المستقل العربي، بيروت.
11. جلال الدين سعيد، معجم العلوم الاجتماعية والفلسفية، نيويورك، 1944.
12. الكيالي، عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، الجزء1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1985.
13. الكيالي، عبد الوهاب واخرون: موسوعة السياسة الجزء2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1981.

المقالات:

1. محبشي، قاسم، ألفين توفلر وحضارة الموجة الثالثة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عدن، العدد 13، 2008.
2. الربيعي، رجاء، التحليل الفكري للدورات الاقتصادية.
3. أمال مجدي، الأيديولوجيا في موت الأيديولوجيا، جامعة الإسكندرية، wwwpdffactory.com.
4. بيرز، فريدريك، التاريخانية، ترجمة عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر،2019.

Sources and references

Sources:

1. Toffler, Alvin, Maps of the Future, translated by Asaad Saqr, Arab Writers Union Publications, 1987.
2. Toffler, Alfen, The Transformation of Power, Part One, translated by Lubna El-Reedy, The Egyptian General Book Authority.
3. Toffler, Alvin, The Transformation of Power, Part Two, translated by Lubna Al-Ridi, the Egyptian General Book Organization, 1996.
4. Toffler, Alvin, Wealth and the Knowledge Economy, translated by Muhammad Ziyad Yahya Kubba, Scientific Publishing and Printing Press, King Saud University, 2008.
5. Toffler, Alvin, Shock of the Future, translated by Muhammad Nassif, The Egyptian for the Dissemination of Culture and Global Knowledge, Cairo, 1990

references:

1. Hobsbawm, Eric, The Age of Empire, The Arab Organization for Translation, Beirut, 2011,
2. Stalin, Dialectical Materialism and Historical Materialism, Damascus House, 2007.
3. Fukuyama, The End of History and the Last Man, translated by a team of translators, the National Development Center, Lebanon, 1993,
4. Hobsbawm, Eric, Globalization, Democracy and Terrorism, translated by Akram Hamdan and Nazhat Tayeb, Arab House for Science and Publishing, Beirut,

5. Engels, The Origin of the Family, Private Property and the State, translated by Ahmed Ezz Al-Arab, Modern Printing House
6. Pulitzer, George, Elementary Principles in Philosophy, translated by Fahmy Shallaf al-Din, Dar al-Farabi
7. Nassif Nassar, Ideology at stake, Dar Al-Talia, Beirut, 1994.
8. Sartre, Dirty Hands, translated by Suhail Idris and Michel Choueiri, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 1954.
9. Marx, The German Ideology, translated by Fouad Ayoub, Damascus House.
10. Bachelard, Gaston, Epistemology, translated by Darwish al-Hallouji, Dar al-Mustaqlal al-Arabi, Beirut.
11. Jalal al-Din Said, Dictionary of Social and Philosophical Sciences, New York, 1944.
12. Al-Kayyali, Abdel-Wahhab and others: Encyclopedia of Politics, Part 1, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2nd Edition, 1985.
13. Al-Kayyali, Abdel-Wahhab and others: Encyclopedia of Politics, Part 2, The Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st Edition, 1981.

Articles:

1. Mahbashi, Qassem, Alvin Toffler and the Third Wave Civilization, Journal of Social and Human Sciences, University of Aden, No. 13, 2008.
2. Al-Rubaie, Raja, Intellectual Analysis of Economic Cycles.
3. Amal Magdy, Ideology in the Death of Ideology, Alexandria University, www.pdffactory.com.
4. Beers, Frederick, Historicism, translated by Amr Bassiouni, Nahd Center for Studies and Publishing, 2019.